

محاضرة لأمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، محمود عباس (أبو مازن)، ينتقد فيها أداء الانتفاضة غزة.* [مقتطفات]

[.....]

ولكن ما جرى في هاتين السنتين، كما نراه الآن، هو تدمير كامل لكل ما بنيناه ولما بني قبل ذلك، فأصبحنا الآن دون مستوى الفقر في كل من غزة والضفة، وأصبح شعبنا في حال ضياع وجوع ومعاناة، والسبب في ذلك أن كثيراً من الناس استجابوا للاستفزازات الإسرائيلية فخرجت الانتفاضة عن مجراها الطبيعي، وبدأوا بطريقة لا قبل لنا بها باستعمال السلاح وما توافر لديهم من اختراعات مثل الهاون والقنابل وغيرها، وإطلاق النار من البيوت والحارات، وقضايا المثلثين والمسلحين. وأمام هذا الواقع ونتيجة هذه الأعمال أصبحنا أمام معركة عسكرية وليس أمام انتفاضة شعبية تعبر عن غضب شعبي لا يستطيع أحد أن يعترض عليه وأن يستعمل ما يستعمله الآن من كل أنواع الدمار. وكما ترون اليوم فإن كل مدن الضفة الغربية تتعرض يومياً لعمليات تدمير بسبب استغلال إسرائيل لأعمال لا أعتقد أنها ضرورية ولا أعتقد أنها مفيدة ومجدية...

[.....]

إلا إن الأمور تطورت إلى الأسوأ نتيجة تدهور الأحداث ووقوعنا في أخطاء دفعت شارون إلى استمرار عدوانه. ومن هذه الأخطاء إعلان الجبهة الشعبية مسؤوليتها عن قتل رجب عام زئيفي. كان على الجبهة الشعبية عدم إعلان مسؤوليتها لأن النتيجة الأولى والمباشرة لذلك الإعلان معروفة سلفاً وهي الحصار الأول الذي فرض على الرئيس ياسر عرفات واستمر منذ ذلك التاريخ متقطعاً حتى يومنا هذا في "المقاطعة" التي بُنيت منذ الانتداب البريطاني وتطورت في عهد السلطة الفلسطينية حتى أصبحت شبه قرية كبيرة، إلا إنها تحولت مع الأسف إلى ركام. ولذلك من المفروض أن يتحلى أولئك الذين يطلقون النار والبيانات بشيء من المسؤولية الوطنية.

[.....]

قال بعضهم في البداية إن هذه الانتفاضة ستسقط شارون لأنه جاء من أجل الأمن. وها هو شارون لم يسقط لأن الانتفاضة انحرفت عن مسارها الصحيح. وأعتقد أن شارون الآن أهم زعيم عرفته الحركة الصهيونية منذ هيرتسل الذي لم يتمتع بـ 80 في المئة من التأييد كما تمتع به شارون. وقيل إن هذه الانتفاضة لمنع الاستيطان والنتيجة أن الاستيطان تضاعف مرات عدة في الفترة الماضية، وبدأ الترويج حول الاستيطان الشرعي والاستيطان غير الشرعي كما أن عمليات توسيع المستوطنات مستمرة في ظل الانتفاضة. والبعض قال: هرب المستوطنون، ونحن نعرف أن لهؤلاء بيوتاً هنا وهناك، وهذا كلام فارغ.

* "الحياة" (لندن)، 2002/11/26.

الحجة الثالثة والأخيرة قال البعض نريد أن نحرر القدس والأراضي المحتلة، وكانت النتيجة أن أراضيها التي حررت بالمفاوضات والسلام أُعيد احتلالها بالقوة ولم يبق لدينا إلا أرض قطاع غزة والذي نتمنى أن ننقذه قبل أن يفوت الأوان.

يجب عدم تحميل الانتفاضة فوق طاقتها ونقول إلى أين نحن ذاهبون. نقولها من دون خجل ومن دون أن ننجر وراء من له هدف شخصي. لا يجوز أن يُرهن مستقبل الوطن كله لمصالح أفراد أو تنظيمات... بعض التنظيمات لها رؤية تقول لا نريد السلطة ونريد أن ندمرها ونحل محلها... النتيجة لن تحل محل السلطة ولن تكون هناك سلطة عندما يأتي ويعم الدمار على الجميع من دون استثناء.

إذا ما هو المطلوب؟ المطلوب أن نقول بوضوح وحزم: إلى هنا كفى، لأننا إذا وقفنا الآن نستطيع أن نستمر (ولا أقول إن كل ما ذهب ضاع هباء منثوراً). لنقل للعالم نحن ذُبحنا ودُمّرنا وهذه جريمة يجب أن تتوقف ونحن نريد السلام... المؤمن بالسلام الحقيقي حينها سيقف معنا، وهنا أريد أن أنوه أن العالم للمرة الأولى أصبح يقول بدولة فلسطينية وهذا لم يُقل سابقاً... وبانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلت في حرب 1967، أصبحت المقولات ثابتة في المجتمع الدولي.

نحن متأكدون أن شارون بعد ثلاثة إلى ستة أشهر من التفاوض سيسقط لأنه لا يستطيع أن يقدم شيئاً، لأنه ضد إزالة أي مستوطنة وضد إعطاء الفلسطينيين أكثر من 50 إلى 60 في المئة فقط من الضفة الغربية وبالتالي العالم كله لن يسمع منه وسيقولون له أنت شخص غير مقبول وسيكون مصيره مصير نتانياهو: الهزيمة وخروجه من الحكومة.

[.....]

وهناك موضوع آخر لا بد من الإشارة إليه. لديّ تحفظ عن مشاركة أهلنا الفلسطينيين (عرب 48) في الانتفاضة مع تقديري الكبير لتضحياتهم، إذ إن مشاركتهم كانت خطأ فادحاً جداً. نحن رفضنا مشاركتهم في الانتفاضة الأولى والثانية، وقلنا لهم أنتم لكم خصوصية وتميز، ولكم دور آخر غير دورنا، لكم دور مهم في إسقاط حكومات وإنجاح حكومات. إبقوا على هذا الطريق، وإذا أردتم أن تساعدونا فساعدونا عبر تزويدنا بالمواد التموينية وبالتظاهرات السلمية مع حركات السلام الإسرائيلية. ولكن الذي حصل كان غير ذلك، إذ انطلقت مع بداية الانتفاضة أول موجة تظاهرات لهم واستشهد 13 شخصاً وجرح 80 شخصاً. وقف الإسرائيليون حينها وقالوا هؤلاء لهم 50 سنة بين ظهرانينا ويتصرفون هكذا، كيف يمكن أن نعيد اللاجئين؟ وهذا صار مثل النار في الهشيم لدى الإسرائيليين وأصبح كل إسرائيلي يسأل نفسه: هل أوافق على عودة مثل هؤلاء الناس؟ ولذلك ما هي الفائدة التي جنيناها؟

[.....]

الاستثمارات الخاصة التي جاءت من الخارج هربت وعادت من حيث أتت في كل أنحاء العالم. بما وصلنا من أموال استطعنا أن نبني شيئاً على الأرض وأصبح لدينا شوارع وفنادق وبنائات ومدارس وجامعات نظيفة. لكن هناك أموالاً كثيرة هربت والسؤال لماذا؟ هذا شيء مؤسف... هذه مأساة... يجب أن نسأل أنفسنا لماذا؟ هناك تنظيمات لا تريد السلطة حقيقة وتريد تدميرها وتحل محلها وشاركت بعض أطراف من "فتح" في تحقيق ذلك. شاركت في أغلب الأماكن وهذا خطأ كبير. لماذا شاركت "فتح"؟ هل عدنا إلى الوطن لندخل حرباً؟ أمس سألني شاب في الاستخبارات عن حرب التحرير الشعبية. ترى هل ما زلنا نعيش الماضي؟!

[.....]

أعتقد أنه إذا لم نرد على ضربات الإسرائيليين سيرى العالم كله هذا ويكشف حقيقة نيات شارون. عندما دخل شارون بيت حانون العام الماضي ودخل إلى أريحا قال له بوش أخرج فوراً وخرج. في ندوة عامة في رام الله قالوا إن شعبنا صابر صامد. قلت لهم شعبنا كفر بكل هذه الممارسات. الناس يريدون أن يأكلوا وأن يطمئنوا على حياتهم وممتلكاتهم... الناس ترى أن رجال السلطة فقط يأخذون رواتبهم أما البقية فليس لديها شيء تقتات منه. جار لي تاجر كبير لا أعرفه، جاءني يوماً وأخبرني أنه يسكن في جوارى. عرض علي أعماله وتجارته الواسعة. بعد الانتفاضة جاءني وقال لي أنظر كل ما حدثتك عنه ضاع بسببكم وأنا الآن لا أجد ما أقتات منه. تظاهرة الطناجر في غزة. لماذا خرج الناس في هذا الشكل إلى الشوارع... طبعاً ليقولوا لنا: نريد أن نأكل. هل يعرف من يقول شعبنا صابر صامد أننا وصلنا إلى هذا الحد؟

[.....]

نحن لا نقول وقف الانتفاضة بل تصويبها وتخليصها من المظاهر السلبية خصوصاً ظاهرة العسكرة. يمكن أن تقوم بتظاهرة أو بمسيرة. أمّا كلمة "شلال الدم" فأنا لا أحبها. شلال دم من؟ دم أولادنا... دم أولادكم... قلت هذا في ندوة تنظيمية في رام الله حضرها كوادر وقيادات "فتح" وغضبوا مني وقالوا لي هذه خطوط حمراء وانتقدوني. الإسرائيليون أقصى ما يمكن أن يزعجهم الأمن لذلك يرتدون من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين. كل يهودي الآن في إسرائيل مع شارون لأنهم يعتقدون أنه يحميهم. وأنا أريد أن أسحب منه هذه الذريعة من منطلق أننا نريد حقوقنا ولا نريد الحرب وعندها سيتعاطم عدد الإسرائيليين الذين سيقفون معنا.

[.....]

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي

التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx